

والكل يعرفها ويلجأ إليها في حرية ويسر، ولما كانت لغة الشعب ومن صنعه فقد أخضعها لحرية، وأزال عنها القيود العلمية والاصطلاحية وأعانها على أداء مهمتها كما تتطلب الحياة الجارية، فصارت لغة مرنة طبيعة قابلة للتطور السريع، لا تنفر من لفظ دخيل، وإنما تقبله ونشر به روحها فيصقله الاستعمال ويصبح مألوفاً مقبولاً. أن تختلف هذه اللغات العامية العربية باختلاف الأقطار والأقاليم وذلك النفس الأسباب التي اختلفت من أجلها اللغات القديمة حين انفصلت من أصولها الأولى. فأهل مصر لهم عاميتهم، كما أن لأهل الصعيد لغتهم العامية التي تخالف لغة سكان الشمال، الذين يختلفون هم أيضاً في عاميتهم باختلاف الأقاليم. ومعنى هذا أن العامية توشك أن تكون هي اللغة القومية لكل قطر من أقطار الشرق العربي، وثقافتهم وأخلاقهم، وتعود بذلك سجل حياتهم الصادق وأقدر على تشرب روحهم وتصوير أفكارهم ونزعاتهم، حين عجزت الفصحى أو عجزوا هم عن أن يلبسوها من شخصيتهم ثوباً قومياً طريفاً ممتازاً. لذلك نشأت هذه الدراسات الحديثة التي تعنى بالعامية فتقيد ألفاظها، وآدابها نظماً وتراً، إما لأنها طور من أطوار التاريخ اللغوي والأدبي والاجتماعي، وإما لأنها قد تكون أساساً لهذه اللغات الاقليمية التي قد ينتفع بها فيما بعد كما يرى بعض المفكرين. ومع ذلك فلا تعد العامية لغة رسمية ولا يعد أحبها أدباً رسمياً يدرس على أنه مقرر يحتذيه المتعلمون، وذلك السببين اثنين: - أحدهما: شيوع الخطأ اللفظي والخروج على قوانين النحو والتصريف وعدم حتى هجر فيها النحو العربي، وخضعت العبارات الصور الأجنبية في تأليف الجمل، الأساليب. ثانيهما: ما غلب على معانيها من التفاهة والعرفا، فأغلبها أوامر ونواه وأخبار هم مه مو هو هو عادية تتصل بالحياة الجارية، وتكرر كل وقت، وكل يوم مما لا يستحق درساً أو تقييداً. والأدب يجب أن يجمع بين أمرين (1) صحة اللفظ (2) وقيمة المعنى أو سموه، حتى يستحق أن يسمع أو يقرأ في كتاب. وليس معنى هذا خلو العامية من الألفاظ الصحيحة أو المعاني القيمة كلا، فاللغة العامية هي الفصحى طرأت عليها أخطاء، ودخلت عليها تراكيب، لم تستطع أن تمحو صوابها كله، أما اللغة الفصحى، يعتمد عليها الكتاب حين يريدون التعبير عن الأفكار أو تصوير الشعور، أو تأليف المسائل والآراء العلمية إذ كانت الفن الكلامي التي يؤدي ما في النفوس من ثمرات العقول ونوازع الانفعال والميول.